

أحاديث رمضان ١٤٣٦ هـ - درر - الحلقة العشرون : العزة .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٧-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ وهلَّ عزٌّ أعزَّ من القناعة
فصيرها لنفسك رأسَ مالٍ وصيرَ بعدها التقوى بضاعة
تحزُّ ربحاً وتغنى عن بخیلٍ وتنعم في الجنان بصبر ساعة

العزة درة من درر أخلاق الإسلام الراقية ، تعالوا بنا نتعلم العزة ، وهل هناك عزة إلا في رضا الرحمن ، وهل هناك عزة إلا في اتباع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، عزة المؤمن موضوع حلقتنا في درر ، فهللوا بنا إلى درر الشريعة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أعزائي المشاهدين أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بالخير واليمن والبركات والطاعات، ومعكم في حلقة جديدة ، ولقاء جديد ، ومع درة جديدة من درر الشريعة الغراء ، نستضيف فيها كعادتنا فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله سيدي .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم درة اليوم هي العزة ، والعزة مطلب أساسي عند جميع البشر ، أولاً هل العزة حاجة عند الإنسان ؟

توافق الدين مع الفطرة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألبيتة ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

الحقيقة الدقيقة أن الإنسان كائن متحرك ، ما الذي يدفعه إلى الحركة ؟ حاجته إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقائه كفرد ، وما الذي يدفعه إلى الحركة حفاظاً على بقاء النوع؟ الزواج ، وما الذي يدفعه إلى الحركة حفاظاً على بقاء الذكر ؟ التفوق ، فالحاجة الثالثة حاجة كل إنسان ، أن يكون متميزاً ، يحتاج إلى أن يكون متفوقاً ، يحتاج إلى أن



يشار إليه بالبنان ، يحتاج إلى أن يقال هو المهندس الأول ، الطبيب الأول ، هذه الحاجة مهمة جداً ، الحاجة إلى التفوق هذه الحاجة الحقيقية تلبى في الدين ، والأصح من ذلك أن حاجات الإنسان كلها حيادية يمكن أن يسلك بها طريقاً إسلامياً صحيحاً يتألق به ، أو أن يسلك طريقاً آخر، مثلاً الشهوات التي أودعت فينا



هذه الشهوات ما أودعت فينا إلا لنرقي بها إلى رب الأرض والسماوات ، فالحاجة إلى المرأة لها قناة نظيفة طاهرة هي الزواج ، والحاجة إلى تأكيد الذات هي التفوق ، إن تفوقت في اختصاصك ، في دراستك ، في عملك ، في فهمك ، في حركتك ، هذا التفوق يشار إليه بالبنان ، فكل الحاجات الفطرية التي أودعت فينا لها منهج في

كتاب الله ، لذلك الإنسان حينما يؤمن حقق حاجته إلى السلامة ، وحينما يعمل صالحاً حقق حاجته إلى السعادة ، وحينما يربي أولاده حقق حاجته إلى الاستمرار ، فالسلامة والسعادة والاستمرار حاجات أساسية ، هذا الإسلام دين الفطرة ، توافق الإسلام مع فطرة الإنسان مئة بالمئة :

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: ٣٠]

فالفطرة أن تحب الخير وأنت فطرت على ذلك ، فالإنسان لماذا يرتاح إذا تاب إلى الله ؟ لأنه اصطلح مع فطرته ، لماذا يحبه الناس إذا تاب على الله ؟ اصطلح مع مجتمعه ، لماذا هو في

أعماقه أسعد إنسان ؟ لأنه اصطلح مع ذاته ، فلذلك توافق قضية الدين مع الفطرة شيء مذهل في هذا الدين العظيم ، بل إن بعض العلماء يقول : هو دين الفطرة .
الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم فطر الإنسان على محبة العزة أن يكون عزيزاً .

الصبغة و الفطرة :

الدكتور راتب :

نقطة دقيقة أن تحب العزة شيء وأن تكون عزيزاً شيء آخر ، أن تكون عزيزاً هي الصبغة ، وأن تحب العزة هي الفطرة .

الأستاذ بلال :

وما الطريق الشرعي السليم لنقل الإنسان إلى العزة ؟

الطريق الشرعي السليم لنقل الإنسان إلى العزة

الدكتور راتب :

والله حينما نطبق منهج الله ، نحن أعقد كائن في الكون الإنسان تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ، لهذا الكائن المعقد إعجازاً صانع ، لهذا الصانع تعليمات هي القرآن والسنة أو الكتب السماوية سابقاً هذا الإنسان حينما يتحرك وفق منهج الله يسلم ويسعد ، يسلم ويسعد ويتفوق ، فطريق الدين طريق السعادة ، طريق التفوق طريق الأمن ، قال تعالى :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]



القرآن والسنة هي تعليمات خالق الإنسان



السكينة هي العطاء الإلهي الأكبر للإنسان

بل إنني أقول : يوجد بنفس المؤمن من الأمن ما إن وزع على أهل بلد لكفاهم ، فالعزة تأتي من التفوق ، والتفوق حاجة إنسانية ، وهذا الدين في تفوق عندما

العزة

تزداد علماً ، تزداد طاعة ، تزداد ورعاً ، تزداد تطبيقاً لكتاب الله ، تشعر أنك قريب من الله ، هذا يكسبك سعادة لا توصف ، لذلك إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال ، للكثيرين من خلقه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، هذه السكينة عطاء إلهي ، والحقيقة شيء يحار به الإنسان ، هي سعادة ، هي قرار سليم ، هي رؤية ، هي موقف شجاع ، هي قبول لوجوده ولخصائصه ولما أعطاه الله إياه ، مهما تحدثنا عن السكينة لا ننتهي ، هي العطاء الإلهي الأكبر .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، لو انتقلنا إلى محور آخر ، ربنا جل جلاله من أسمائه العزيز والعزة لله ، وكما تفضلتم نصل للعزة عن طريق تطبيق منهج العزيز ، والعزيز اسم من أسماء الله الحسنى ارتبط باسم الحكيم ، نجد كثيراً من الآيات العزيز الحكيم ، ما سرّ الترابط بين العزة والحكمة عنده جل جلاله ؟

سرّ الترابط بين العزة والحكمة عند الله جلّ جلاله :

الدكتور راتب :

والله أحياناً يأتي هذا الورود عزيز حكيم قد يكون الثاني سبباً للأول ، أنت عزيز لأنك حكيم ، عندما تعطي كل شيء حقه ، تعطي الأشياء حقها الطبيعي ، تعامل الوالد معاملة كما أراد الله ، تعامل الوالدة كما أراد الله ، تعامل الزوجة كما أراد الله ، تعامل أولادك كما أراد الله ، تعامل من حولك ، جيرانك ، من هم على شاكلتك كالمؤمنين ، والطرف الآخر له معاملة خاصة وفق منهج الله ، أنت حينما تأتي الحركة مطابقة لمنهج الله تشعر بهذه العزة ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ما اتخذ الله ولياً غير عزيز ، لأنك عبد الله فأنت عزيز .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم الله تعالى عزيز ومعز جل جلاله ، في الآية الكريمة :

﴿ تُوْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾

[سورة آل عمران: ٢٦]

فالعزة من الله والذلة من الله جل جلاله .

العزة و الذلة من الله جلّ جلاله :

الدكتور راتب :

لكن الملمح الدقيق فيما تفضلت به من هذه الآية ، أن الله عز وجل قال :

﴿ تُوْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾

[سورة آل عمران: ٢٦]

لكن ما قال : بيدك الخير والشر ، قال : بيدك الخير ، ماذا يستتبط ؟ أن إيتاء الملك خير وأن سحب الملك خير ، وأن الإعزاز خير والإذلال خير ، لذلك الله عز وجل يذل ليعز ، ويخفض ليرفع ، ويمنع ليعطي ، والإنسان حينما يرى حكمة الله في المنع ينقلب المنع عين العطاء ، إذا كشف لك الحكمة فيما منعك ينقلب المنع عين العطاء .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم ورد في قوله تعالى :

﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة المائدة : ٥٤]

بعض الناس يعكسون هذه الآية فتجده ذليلاً أمام المتفلتين والفاستين والمنحرفين وعزيزاً أمام المؤمنين ، كيف يتعامل المؤمن مع أخوته ضمن مفهوم العزة ؟

تعامل المؤمن مع أخوته ضمن مفهوم العزة :

الدكتور راتب :

والله أنا لا أرى أن هناك علاقة أرقى وأمتن من علاقة المؤمنين بعضهم ببعض ذلك أن المؤمن أخو المؤمن ، ما الذي يؤكد هذا التواصل ؟

أن كل إنسان له سمات وصفات ، إن صح التعبير نسمي هذه السمات والصفات خارطة لهذا الإنسان ، وهناك روائد في علم النفس كثيرة يسأل حوالي مئة سؤال من خلال الأجوبة ترسم له خارطة ، السمة أوسع من الصفة ، قد نقول : سمة الضبط فالمواعيد مضبوطة ، والحسابات مضبوطة ، والكلام مضبوط ، هناك سمات وهناك



أمتن علاقة هي علاقة المؤمنين بعضهم ببعض

صفات ، الآن لو رسمنا خارطة إنسان وفق سماته وصفاته ، بطريقة مشروحة في علم النفس ، وجئنا بخارطة لإنسان آخر ووضعنا الخارطتين على شكل عامودين ثم درسنا صفة صفة ، فكما تطابقت الصفة الأولى مع الثانية وضعنا خطأ عرضياً ، ما هو قانون الحب ؟ قد يكون بين الزوجين ، وبين الأخوين ، وبين الشريكين ، وبين الجارين ، وبين المؤمنين ، كثرة هذه الخطوط العرضية ، أي كثرة التقاطعات ، كثرة التوافقات ، هذا هو قانون الحب ، لذلك المؤمن لماذا يحب المؤمن ؟ المؤمن صادق والمؤمن الآخر صادق ، المؤمن الأول كريم والثاني كريم ، شجاع

شجاع ، معتدل معتدل ، متواضع متواضع ، هذا التوافق بين شخصيتين هو بالأعم الأغلب السبب الأول للحب بينهما .

الأستاذ بلال :

هذا تفسير علمي للمحبة .

الدكتور راتب :

نعم ، هناك سمات وهناك صفات والسمة قد تتطوي على عدة صفات .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم ، أستاذنا الكريم لو انتقلنا إلى المحور الأخير في لقاء اليوم ، ويحضرني حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

((...شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

كيف نربط العزة بالاستغناء عما في أيدي الناس ؟

كيفية ربط العزة بالاستغناء عما في أيدي الناس :

الدكتور راتب :

الحقيقة سئل أحد كبار التابعين الحسن البصري بما نلت هذا المقام ؟ فقال : بحاجة الناس إلى علمي واستغنائهم عن دنيا الناس . أنا أتألم أشد الألم حينما يكون الواقع العكس ، لو أن الناس استغنوا عن علم العالم ، والعالم بحاجة إلى دنياهم ضعف مركزه ، لذلك أنا أرى أن العالم يجب أن يكون له عمل يستغني به عن الناس ، لأنه قيل : " من جلس إلى غني فتضعض له ذهب ثلثا دينه " .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم وحتى عموم الناس تجد أحياناً بعض الناس يمدون أعينهم إلى ما متع الله به غيرهم ، وبذلك يصبح ذليلاً أمام شهوته .

الدكتور راتب :

الحقيقة الصفة الأولى للمؤمن أنه عزيز ، وأحد أكبر أسباب عزته استغناؤه عن دنيا الناس ، وإذا كان هذا المؤمن عالماً و الناس بحاجة إلى علمه ، فهذا يعطي الإنسان عزة .

الأستاذ بلال :

وهل حسن الصلة بالله تعالى جل جلاله تكسب الإنسان عزة ؟

الدكتور راتب :

والله أنا أرى القضية دقيقة جداً أن
الإنسان حينما يعقد صلة حقيقية مع الله
مبنية على معرفة الله ، وعلى طاعته ،
وعلى استقامته وطاعته في الأعمال
الصالحة ، فحينما يبني الإنسان
شخصيته على معرفة الله وطاعته ،
يكسبه الله هذه العزة ، لأن الله عزيز
يشتق منه العزة ، مكارم الأخلاق
مخزونة عند الله تعالى ، فإذا أحب الله



عبداً منحه خلقاً حسناً ، شيء دقيق جداً الله عزيز ، الله كريم ، كلما أقبلت على الله اشتقت من
كمالته كملاً تعلقو عند الله به، لذلك :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٠]

قال بعض العلماء : أنت حينما تتقرب إلى الله بكمال مشتق من كماله عند الاتصال به تكون قد
جمعت بين خيري الدنيا والآخرة .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، أسأل الله عز وجل أن يكون عزة المسلمين
دينهم، وسيدنا عمر رضي الله عنه يقول : " أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغير الإسلام
أذلنا الله" .

جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي المشاهدين لم يبق لي في ختام هذه الحلقة الطيبة
المباركة من برنامجكم درر إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، راجياً الله لكم دوام الصحة والعافية،
وحتى نلتقيكم في لقاء آخر أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

والحمد لله رب العالمين